وهل الإيمان إلا الحب ؟

(١٨)

حب صلة الأرحام

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

... وَانتَظَرَ المُصلُّونَ قُدُومَ الشَّيخِ (يَحْيَى) ليُصَلِّي إمَامَاً ، ولكنَّ الشَّيخَ لمْ يَأْتِ!!

وَتقدَّم الشَّابُّ (حَسَنٌ) وَصلَّى بِالنَّاسِ ، ثُمَّ تَوجَّه نَحوهُم وَاستَغْفَرُوا اللهَ تَعَالَى ، وَذَكَرُوهُ ذِكْراً كَثِيراً ، ثُمَّ دَعَا الشَّيخُ (مُصْطَفَى) وَأَمَّنَ النَّاسُ وَرَاءَهُ ، وَفِي آخِرِ الدُّعاءِ سَأَلَ اللهَ الشِّفَاءَ العَاجِلَ لِشَيخِ البَلْدَةِ ، الشَّيْخ (يَحْيَى)!!

وَفَوراً اقْتَرَبَ النَّاسُ مِن الشَّيخِ (مُصْطَفَى) وَسألوهُ: مَاذَا حَدثَ لِشيخِنَا الكَبِيرِ؟

فَأَجَابَهُم: بَعدَ الفَجْرِ ، شَعَرَ الشَّيخُ بِمَرضٍ في المعِدَةِ ، وَأسعفنَاهُ إلى المَشْفَى ، وَطَمأننَا الطَّبيبُ بِأنَّهَا حَالةٌ عَارِضَةٌ بإذنِ اللهِ ، وَسَيعودُ فِي المَسَاءِ إلى البَيْتِ.

وَبعدَ صَلاَة المَغْرِبِ مُبَاشَرةً ، انطَلَقَ طُلاَّبُ المَعْهَدِ إِلى بَيْتِ الشَّيخِ ، فَوَجَدُوا كَثِيراً مِنَ الأَحبابِ قَدْ سَبقُوهُم.

كَيفَ لاَ ، وَالشَّيخُ لهُ مُحبُّون كُثُر ، وَهوَ رَجُلٌ مَعْرُوفٌ ، ذُو أَخْلاقٍ فَاضِلةٍ ، وَقدْ شَارَكَ كَثِيراً فِي حَلِّ مَشَاكِل أَهلِ البَلْدَةِ ، وَشجَّعَ عَلى المَشَاريعِ الخَيْريَّةِ ، وَعَاشَ كُلَّ حَياتِهِ للنَّاسِ وَفِي سَبيلِ اللهِ...

دَرْسٌ رَائِعٌ وَعفْويٌّ!!

وَانتَظَر الشَّبابُ خَارِجَ مَنْزِلِ الشَّيخِ ، وَلَمَّا خَرَجَ بَعضُ الضُّيوفِ ، دَخَلُوا إِلى غُرْفَةِ الشَّيخِ.. وَعَانَقُوهُ.. وَسَألُوا اللهَ لَهُ الشِّفَاءَ العَاجِلَ..

نَظَرَ الشَّيخُ يَمْنَةً وَيَسْرةً فَرأَى وَاحِداً مِن

الحَضُورِ.. فَسَألهُ: أَنتَ ابنُ مَنْ؟

فَقَالَ: أَنا سَعِيدُ بنُ مَسْعود ، والدِي هُوَ ابنُ عَمِّكَ... ، وَلكنَّا كنَّا فِي إحدَى دُوَلِ الخَلِيجِ ، ومنذُ سَاعَاتٍ قَدِمنَا إلى البَلدِ بعدَ سَنَواتٍ منَ الغُرْبةِ!!

وَدَمَعتْ عَينَا الشَّيخِ وَقَالَ: اسمَعُوا أَيُّهَا الأَحِبَّةُ ـ بَارِكَ اللهُ بِكُم ـ

لَمَّا مَاتَ الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ عُبادَة بن الصَّامتِ رَضِيَ اللهُ عنهُ ، بَكَى عَليهِ أَخُوه أَوسُ بُكَاءً شَدِيداً.

فَقِيلَ لهُ: أَتبكِي عَلى عُبَادَة وَقَدْ كَانَ يُرِيدُ قَتْلكَ؟!

فَقَالَ أَوسٌ: حَرَّكنِي لِلبُكَاءِ عَليهِ أَشياءُ وَأشْياءُ أَهمّهَا:

ارتِكَاضُنَا فِي بَطْنٍ وَاحِدٍ ، وَارتِضَاعنَا مِن ثَدْي وَاحِدٍ!!

وَيَروي الصَّحَابِيُّ الجَليلُ أَبو ذَرٍّ الغفَارِيّ رَضِيَ اللهُ عنهُ فَيقولُ:

قَالَ الرَّسولُ ﷺ: «إِنَّكُم سَتَفْتَحُونَ أَرْضاً يُذكَرُ فِيهَا القِيرَاطُ ، فَاسْتَوصُوا بِأَهْلِهَا خَيْراً ، فَإِنَّ لهُم ذِمَّةً وَرَحِماً».

وَتَساءَلَ العُلماءُ: لِمَاذا أَوْصَى الرَّسولُ بِأَهلِ مِصْرَ؟

•

وَأَجَابَ العَارِفُون: لِلرَّحِمِ التي لَهُم ، فَهَاجُرَ أُمُّ إسمَاعيل عليهِ السَّلامُ مِنْ مِصرَ ، والصّهرُ ـ الرَّحِمُ ـ: لِكَونِ مَارِيّةَ أُمّ إبراهِيمَ بن رَسولِ اللهِ ﷺ مِن مِصْر أَيضاً...

وَلكنْ كَيفَ نَصِلُ أرحَامنَا؟!

وَسَـأَلَ الشَّـابُّ (مُهْتـدِي): وَكَيـفَ نَصِـل أَرحَامَنَا ، وَإلى أيّ مَدَى؟

وَاعتَدَل الشَّيخُ (يَحْيَى) وَقَالَ: أَحسنْتَ أَيُّها الشَّابُّ المُجِدُّ الذّكِيّ ، ولقدْ جَاءَ فِي كُتُبِ التَّـراجِـمِ وَالسِّيـرِ أَنَّ التَّـابِعـيَّ الكَبِيـرَ (ابـنِ مُحَيريزٍ) رَحمهُ اللهُ قَالَ: حَقُّ الرَّحِمِ هُوَ أَن تُسْتَقْبَلَ إِذا أقبلتْ ، وتُتَّبَعَ إِذا أَدْبَرتْ.

وَأَمَّا الصَّحابيُّ الجَليلُ عَليُّ بنُ أَبِي طَالبٍ فَقَدْ قَالَ: أَكْرِمْ عَشِيرتَكَ ، فَإِنَّهُم جَنَاحُكَ الذي بهِ تَطِيرُ ، وَإِنَّكَ بهم تَصُولُ وَبِهم تَطُولُ ، وَهُمُ العِـدَّةُ عِنـدَ الشَّـدائـدِ ، أَكْـرِمْ كَـرِيمَهُـم ، وَعُـدْ سَقِيمَهُم ـ مَرِيضَهُم ـ ، وَأَشرِكْهُمْ فِي أُمورِكَ ، وَيسِّرْ عَن مُعْسِرِهِمْ...

وَأَمَّا إلى أَيّ مَدَى يَجِبُ أَن نَصِلَ أرحَامَنَا ، فَذَلِكَ أَمرٌ يشرحهُ رَسولُ اللهِ ﷺ وَذلكَ بِقَولهِ: «بلُّوا أَرحَامَكُم وَلَو بِالسَّلامِ».

أي: إنْ لَمْ تَجِدْ مَالاً تُنْفِقُه عَليهِم ، أَو لَمْ تَجِدْ مَا تُسَاعدهُمْ بهِ ، أَو لَمْ تَجِدْ هَدايا تَهْدِيهَا لَهُم ، أَو إنْ لمْ تَسْتَطِعْ تَقْديمَ أَيّ خِدْمَةٍ لَهُم ، أَو.. ، فَعَلَى الأَقلِّ يُمْكِنكَ أَن تَصِلَهمْ وَلو بالسَّلامِ!!

ذَلِكَ لأنَّ السَّلامَ يَعنِي تَأْكِيدَ الرَّابِطَة التي بَينَهُم وَبينَك ، والسَّلامُ هُوَ الشَّيءُ الجَميلُ الذي يَفْتَحُ القُلوبَ عَلى بَعْضِهَا ، وَيفْتَح العُقولَ أَيضاً.

وَأَمَّا الإمَامُ أَحْمَد الرِّفَاعيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالَى فَقَدْ قَالَ:

بلَغَني عَنْ بَعْضِ العَارِفِينَ أَنَّهُ كَانَ يَقولُ فِي مُنَاجَاتِهِ للهِ تَعالَى:

إِلهِي: بِأَرْحَامٍ اتَّصَلتْ ، وَبِقُلوبٍ بكَ اشْتَغَلَتْ ، وَحِينَمَا سَأَلوهُ: مِنْ أينَ لكَ هَذا الدُّعَاء؟

أَجَابَ: إِنَّهُ مِن حَدِيثِ رَسولِ اللهِ ﷺ ، وَذَلكَ قَوْلُهُ:

«لمَّا أُسْرِيَ بِي إِلى السَّماءِ ، رَأَيتُ رَحِماً مُعلَّقةً بِالعَرْشِ تَشْكُو رَحِماً إِلى رَبِّهَا أَنَّها قَاطِعةٌ لهَا!

قُلتُ: كَمْ بينكَ وَبينَها مِن أبٍ؟

قَالتْ: نَلتَقِي فِي أَرْبَعينَ أَباً!!».

القُدْوَةُ والأُسْوَةُ فِي ذَلِكَ!!

وَبَدَا عَلى الشَّيخِ (يَحْيَى) بَعضُ عَلاَمَاتِ

الإرْهَـاقِ ، فَـأستَـأْذَنَـهُ الأُستـاذُ (نُـورُ الهُـدَى) لِيتَكلَّمَ قَلِيلاً ويَستَريحَ الشَّيخُ.

فَقَالَ الأُسْتَاذُ: وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى بَيَّنَ لنَا القُدْوَةَ وَالأُسْوَةَ ، وَهُوَ رَسولُ اللهِ ، مِصْدَاقُ ذَلكَ قَوله تَعالَى:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾.

لِذَلِكَ إذا نَظَرتَ فِي سِيرتِهِ رَأيتَ العَجَبَ العُجَابَ!!

فَهَؤلاءِ المُشْرِكُونَ مِن قُرَيشٍ: أَعمامُهُ وَأقْرِبَاؤُهُ وَعَشِيرتُهُ وَجِيرانُهُ و...: كَانُوا يُؤْذُونَهُ وكانوا يَضَعُونَ أَمَام بيتِه القَاذُورَاتِ والأَحْجَارَ وَالشَّوكَ ، وكَانُوا يُحَاصِرُونَهُ فِي شِعْبِ أَبي طَالبٍ ، وَكَانُوا يَدْفَعُونَ صِبيَانَهُم وَمجَانِينَهُم لِيشْتمُوهُ.. وَكَانُوا يشنُّونَ عَليهِ

المَعَارِكَ والحُروبَ يُرِيدونَ قَتْلَهُ ، وَكَانُوا وَكَانُوا...!!

وَقَدْ قَتَلُوا كَثِيراً مِن أَصْحَابِهِ ، وَطردُوهُم من مكَّةَ المُكرَّمَة و...!!

وَلمَّا قَالَ أَحَدُ الصَّحَابةِ: لَو دَعَوْتَ عَليهم لَكَانَ خَيْراً ، لَكِنَّ الرَّسولَ هو الأُسْوَةُ والقُدْوَةُ ، وَهوَ صاحبُ الخُلُقِ العَظِيمِ ؛ قَالَ كلمَاتٍ فِيهَا الدُّروسُ العَمَليَّةُ: «إِنِّي لمْ أُبعَثْ لعَّاناً ، وَلكِن بُعثْتُ دَاعِياً وَرَحْمةً ، اللَّهمَّ اهْدِ قَومِي فَإِنَّهم لا يعلمُون».

وَعندمَا آذوهُ وَضَيَّقُوا عليهِ ، وَخَرَج طَرِيداً إلى الطَّائفِ ، وَلَمْ يَكُنْ أَهلُ الطَّائفِ أَحْسَنَ حَالاً من أَهلِ مَكَّة ، فشَتَمُوهُ وَأَهانُوهُ وَآذوهُ و..!

فَعادَ حَائِراً لا يَدْرِي مَاذَا يَفْعَل ، ويَهْبِط عَليهِ مَلَكُ الجِبالِ وَيقولُ: يَا مُحَمَّد إِنَّ اللهَ

أَرْسَلنِي إليكَ فَلوْ شِئْتَ لأُطْبِقنَّ عَليْهِم الجَبَلينِ.

فَمَا كَانَ منهُ ، وَهوَ الذي يَعْرِفُ حَقَّ المَعْرِفَةِ أَنَّهم أَهلُه وَأَرحَامهُ و...

إلاَّ أَن قَالَ: «بَلْ أَرجُو أَنْ يُخرِجَ اللهُ مِن أَصْلابِهِم مَنْ يُوحِّد اللهَ تَعالَى».

صَحيحٌ أنَّ ظُلمَ ذَوِي القُرْبَى أَمرٌ لَيسَ بالسَّهْلِ ، وَلكنَّ الشَّريعةَ الإسْلاَميَّةَ تُطَالبنَا بالتودُّدِ لهُم.. وَصِلَتهم.. مَهمَا كَانَتْ أَفعالُهُم ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَولُ الشَّاعِرِ:

وَحَسْبُك مِنْ ذُلٍّ وَسُوءِ صَنِيعَةٍ
مُنَاوأَة ذَوي القُرْبَى وَإن قِيلَ قَاطِعُ
وَلَكِن أُواسِيهِ وَأَنْسَى ذنُوبَهُ
لِتُرْجِعهُ يَوماً إليَّ الرَّواجِعُ
وَلاَ يَسْتَوِي فِي الحُكْمِ عَبدانِ وَاصِلٌ
وَعَبْدٌ لأَرْحَامِ القَرَابةِ قَاطِعُ

وَلكِن مَا الفَائدةُ مِن حُبِّ الأَرْحَامِ؟!

وَقَالَ الأُستاذُ (زَينُ العَابِدين):

وَلكِنَّ الشَّرِيعةَ لاَ تَطْلبُ أَمْراً مَا ، إلاّ إذَا كَانَ لِصَالِحِنَا حَتْماً.

وَهُنَا عِندمَا نطَالبُ بِحبِّ ذَوِي الرَّحِمِ والتَّودُّدِ لهُم ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَكُونُ لَهُ نَتَائِجُ حَسَنَةٌ ، منهَا: أَنَّ صِلَةَ الأَرْحَامِ تُعْتَبَرُ مِن أَبوابِ الصَّدقَاتِ والخَيْراتِ ، مِصْداقُ ذَلِكَ قَولُ التَّابِعيِّ عَطَاء بن أَبِي رَبَاح: لَدِرْهَم أَضعهُ فِي قَرابةٍ أَحبّ إليَّ من أَلفٍ أَضَعُها فِي فَاقَة..

وكَذلكَ فَصِلةُ الأَرْحَامِ تَزِيدُ فِي المَالِ ، وَتُخَلّد الذِّكْرَ الجَميلَ!

مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَولُ رَسولِ اللهِ ﷺ: «تَعلَّمُوا

مِن أَنْسَابِكُم مَا تَصِلونَ بهِ أرحَامَكُم ، فَإنَّ صِلةَ الرَّحمِ مَحبَّة فِي الأَهلِ ، مَثْرَاة فِي المَالِ ، مَنْسَأةٌ فِي الأَثَرِ».

وَإنَّ صِلةَ الأَرْحَامِ تَزِيدُ فِي تَمَاسُكِ المُجْتَمَعِ وتَآلفهِ ، بِحَيثُ يَشعُرُ كُلُّ واحِدٍ بارْتِبَاطِهِ بِالآخَرِينَ ، وَيُبارِكُ اللهُ لهُ فِي مَالهِ لأنَّهُ يُنْفِقُ مِنهُ وَيُخلِّدُ النَّاسُ ذِكرهُ.

وَقَدْ أَكَّد الرَّسولُ ﷺ عَلى أَنَّ صِلَة الرَّحمِ تَزِيدُ في العُمُرِ ، فَقَالَ: «مَنْ أَحبَّ أَن يمدَّ اللهُ فِي عُمُرِهِ وَيَزِيدَ فِي رِزْقِهِ ، فَليبرَّ وَالديهِ ، وَليَصِلْ رَحِمَهُ».

وَليستِ المَسأَلَةُ خَاضِعةً لِلحسَابَاتِ ، بَلْ إنَّ القَضيَّةَ تُؤخَذُ مِن بَاب آخَرٍ ، وَهوَ أَنَّنَا نَرَى فِي وَاقِعنا المُعَاشَ أُناساً لمْ يَبلغُوا الأَربَعينِ وَقَدْ أَنْتَجُوا الشَّيءَ الكَثِيرَ ، بَيْنَما نَجِدُ أُناساً

تَجَاوَزُوا الثَّمانِينَ وَلمْ يُقدِّمُوا أيّ شَيءٍ؟!!

إِيَّاكُمْ وَقطِيعَةَ الرَّحِمِ!!

وَقَالَ الشَّابُّ «مُعتزٌّ»: لَقَدْ قَرأتُ ذَاتَ يَومٍ فِي وَاحدٍ مِنَ الكُتُبِ القيِّمةِ:

أَنَّ مَن قَطَعَ أَرحَامَهُ جَازاهُ اللهُ في الدُّنيَا ، ثُمَّ لهُ يَوم القِيَامةِ العَذاب الشَّديد ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ مَا وَردَ في صَحيحِ مُسْلِمٍ وَهوَ قَوْل رَسُولِ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ خَلقَ الخَلقَ حتَّى إذا فَرغَ مِنهُم قَامَتِ الرَّحمُ فَقَالتْ: هَذا مَقَامُ العَائِذِ مِن القَطِيعَةِ؟ قَالَ: نَعَم ، أمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَن وَصَلكِ ، وأقطَعَ مَن قَطَعكِ؟

قَالَتْ: بَلَى ، قَالَ: فَذاكَ لَكِ ، ثُمَّ قَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ قَولهُ تَعالَى:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ

وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٤]».

وَقَالَ الرَّسولُ أَيضاً: «لا يَدْخُل الجَنَّة قَاطِعٌ» وَقَالَ: «الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمنِ فَمَنْ قَطَعَها حَرَّمَ اللهُ عَليهِ الجَنةَ».

وَرَفَعَ الأُسْتَاذُ (نُورُ الهُدَى) يَدَيهِ وَقَالَ: اللَّهمَّ اجْعَلنَا مِنَ المُحِبِّين لِصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَأَبْعِدْ عنَّا مَن يَقْطَعُون الأَرْحَام. يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين.

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين